

نهم الماضي من خلال تحملنا لمسؤولية الحاضر

لحظة من اللحظات السعيدة^(١) في العمر ان التقى بمعبدي طريق المستقبل العربي، لان المستقبل العربي لا يبنى البناء الصحيح الا على اساس الماضي العربي الاصيل والفهم الحي لهذا الماضي، فأنا اشعر بالاعتزاز الكبير والشكر العميق لرفاقي المؤرخين العرب، هذه العاطفة الكريمة التي ابديتها، والتي اتقبلها وانا شاعر اني لم اعمل ما يستحق هذا الثناء، وهذا التكريم، لاني جندي لاكثر، واحد من الجيل الذي واجه مسؤولياته القومية قبل نصف قرن، وعملنا ولاقينا كثيراً من المصاعب والعثرات في طريقنا، وبعضها كان ذاتياً ومع ذلك فاننا نشعر بالرضا العميق عن هذه المسيرة لانها اوصلت الى هذه التجربة الفذة لعراقنا الحبيب التي تفوق التصور والتي سبقت احلامنا، ولا اظن انكم تجهلون ان الاندفاع الاولي للبعث بدأت بالعراق وبأسم العراق وبالايان بانتصار العراق والايان بالدور والرسالة القومية الوجدانية التي يضطلع بها العراق في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة من حياتنا وكان ذلك قبل (ست واربعين) سنة.

أيها الاخوة الاحياء

انطلق البعث من الحب لامته، الحب لعروبتة، الحب لتأريخه، وهذا شرط ضروري واساسي لفهم التاريخ، فالموضوعية في البحث والفهم العلمي الذي لا يستضيء بالحب هو عاجز عن النفاذ الى العمق، الى الجوهر، لذلك زود هذا الحزب منذ بدايته بقوة حية متجددة على الايام، اذ انه لم يقتصر على الرؤية السياسية او

(١) كلمة القائد المؤسس أثناء حفل تقلده وسام المؤرخ العربي من قبل اتحاد المؤرخين العرب في ٢٣ / ٨ / ١٩٨٧.

الاجتماعية او الاقتصادية، وانما غاص في الاعماق وحاول ان يجدد صلته بعبقرية الامة وان يسلك الى ذلك طريق النضال والجهاد وليس طريق المعرفة فحسب أو التأمل فحسب وانما ان نفهم الماضي من خلال تحملنا لمسؤولية الحاضر، ان نعيد الى الماضي حضوره وكأنه يعمل في الان . هذه النظرة لا اجد اعمق من فهم ابطال العراق لها خلال المعركة التاريخية التي يخوضونها منذ سبع سنوات لانهم طبقوها عمليا واستحضروا التاريخ العربي المجيد في كل يوم من ايام قتالهم واستبسالهم وتضحياتهم .

أيها الاخوة

تعرفون بأن الحزب حزبك، هذه الحركة القومية، حركة البعث العربي الاشتراكي انطلقت من مصدر اساسي، من نبع اساسي، من نبع روحي هو الاسلام العظيم، الذي أضاء لنا الطريق، ولقد حمل هذا الحزب منذ بدايته البسيطة المتواضعة هذا القبس الروحي، هذه النفحة التي ميزته وطبعته الى زمن طويل ومستقبل بعيد، وهذا هو سر تجدد حيوية هذا الحزب، وحزب البعث لا يمكن ان يُفهم الا اذا أدركت هذه الناحية، والا اذا اعتبرت اساسية؛ بل الاساس الاول لانطلاقته ولتصوره للقضية القومية وتاريخها ودورها ومستقبلها، وفي البعث اقترنت العروبة بالاسلام اقترانا مصيريا، وهذا لا يتعارض مطلقا مع وضوح قومية الامة بل يغنيها ويكشف عن ابعادها الروحية والاخلاقية والانسانية .

والاسلام ولد في ارض العروبة وضمن تاريخها واهلها، ولكنه اصبح هو اباها، لانها ابتداء من الاسلام ولدت ولادة جديدة، واصبحت امة عظيمة تاريخية، لها دور اساسي في تاريخ الانسانية، وفي صنع مستقبل الانسانية . . الاسلام اعطى للامة العربية هذه الابعاد، اعطاها مسؤولية الدور الانساني العظيم، واعطى العرب مذاق الخلود وطعم الحياة الحقيقية، التي هي جهاد قبل كل شيء، وفكرة ومبدأ وعقيدة، ولاخوف على العروبة مادامت مقترنة بالاسلام، لانه كفيل بان يجددها ويوقظ فيها هذه النزعة الى السماء، الى الخلود، الى الافق الكوني، الى البطولة وحمل الرسالة . . . وعندها تنهوى الامراض العالقة والمشاكل المادية والانانية التي لاتليق بامتتنا ولا تعبر عن حقيقتها وحقيقة رسالتها .

انتم تعملون لاحياء التاريخ العربي من اجل غاية عليا، هي الوحدة العربية، لانعملون من اجل مجرد الدراسة، وانما تضطلعون بمسؤولية قومية، تدركون ضرورتها وتدركون ابعادها، هي ان ترجع لهذه الامة وحدثها، لابل ان نبني لها وحدتها، وخلاصة مامر على الامة من تجارب ودروس في هذا الزمن الصعب التي تستوعب الظروف الجديدة. وهي كلها دروس وتجارب تؤدي الى هذه الغاية، اي ان تتوحد الامة، لان في وحدتها تتوافر لها القدرة على الصمود لمؤامرات الاعداء، وعلى اداء دورها ورسالتها في العالم. . لذلك كان البعث منذ البداية في نظر البعثيين هو حزب الوحدة، وعندما ذكرتكم بذلك التبني الذي يعتز به الحزب لثورة العراق عام (١٩٤١) فسوف تجدون في الكتابات التي اصدرها الحزب عن تلك الثورة ان الوحدة العربية كانت هي المطلب وهي الغاية. . فالبعث كان يناشد العرب في كل مكان ان يهبوا لنصرة العراق لان العراق يضطلع بمهمة توحيد العرب وبالفعل أيها الاخوة نحن من جيل نشأ منذ الصغر على هذا الايمان، هذا هو الجو القومي الذي كان سائدا في سوريا بأن العراق هو المؤهل لتحقيق وحدة العرب، ان مهمتكم في اعادة كتابة التاريخ العربي، هي ان تكشف عن هذا العداء المتعدد الجوانب والاطراف الذي يجمع اطرافا عديدة لمقاومة نهضة العرب، ولاستلاب دور العرب الحضاري، فالغرب الاستعماري منذ الحروب الصليبية الى اليوم يحاول هذه المحاولة. . ثم تقوى بحليف جديد هو الصهيونية، ثم استطاع مع الاسف الشديد ان يجد حليفا له في شعب مسلم واقع تحت تأثير الشعوبية، ويعاني من العقيد الشعوبية.

ومعركة العراق كانت بالفعل معركة المستقبل العربي، معركة الامة العربية كلها، ومعركة المستقبل العربي لانها تصدت لكل هؤلاء الاعداء، وكان صمود العراق، الصمود التاريخي النادر فاضحا لهذا التحالف بين اطراف كان يظن بانها متباعدة، اي ان يكشف عن التحالف بين ايران ونظامها الشعوي وبين عنصرية الصهيونية، وبين اطماع الغرب الاستعماري التوسعي، فهي معركة المستقبل لانها المعركة الصعبة التي لم يخض العرب معركة بمثل صعوبتها حتى الان، لانها تتطلب مستوى عاليا من الايمان والاخلاص لقضية الامة والغيرة على مصيرها، ولئن اشكل الامر في بداية

الحرب على بعض العرب والمسلمين، ولكن صمود العراق التاريخي اوصل الى النصر المين عندما انكشفت العلاقة الصميمة بين ايران والكيان الصهيوني في فضيحة الاسلحة التي تقدمها اسرائيل للخميني منذ بداية الحرب والتي هي مستمرة حتى الان لم تتوقف.

اذن فنحن في هذه الحرب نعمل للوحدة العربية، نعمل للمستقبل العربي الجديد، نعمل لتوحيد العرب، ونعمل للوحدة الاسلامية الصحيحة عندما نكشف عن المرض والخداع، وعندما يتلاقى المسلمون على المبادئ الصحيحة القائمة على الوعي بالدرجة الاولى عندئذ يعرفون من هم الاعداء الحقيقيون ومن هم الذين لا يريدون للامة العربية ان تنهض وان تتوحد لان بنهوضها وبوحدتها ينتصر الاسلام ويعلن عن وجهه الحقيقي الانساني السمع الذي تحتاجه الانسانية اليوم كما احتاجته في الماضي، وكما ستبقى بحاجة اليه في المستقبل.

هذه رسالتكم وهي رسالة عظيمة ودافعة الى الحماس والى التفاني لاننا بدأنا نسير على طريق النصر والنهوض ونتجاوز حالة المرض والتردي، فبارك الله بجهودكم ولتكونوا طليعة هذه الامة في تطلعها الى مستقبل ناهض سعيد، تسوده القيم السامية، ويكون لامتنا اسهامها في تحقيق الخير والعدل للانسانية جمعاء.

لساني عاجز عن الشكر وعن التعبير عن سعادتي وفرحتي بهذا اللقاء، هذه مكافأة العمر بالنسبة لي، لان حب العراق رافقني منذ السن اليافعة وتحققت احلامي بها اشاهده وبها اسمعه، فبارك الله فيكم انتم الاصلاء الكرماء.

٢٣ آب ١٩٨٧